المثقفون في البحرين.. ماذا جرى لهم؟

نقاش أولي حول هموم المثقفين ودورهم المفقود

أنور عبدالرحمن:

المثقف الحق لا يمكن أن يكون طائفيا أو داعية فتنة أو تابعا للمرجعية

دور المثقفين يجب أن يكون على قاعدة الوطنية البحرينية الجامعة

○ أنور عبدالرحمن.

البحرين خليفية.. هذه حقيقة وجودية ثابتة خارج أي نقاش

الأسبوع الماضي، استضاف الأستاذ انور عبدالرحمن رئيس التحرير في منزله عددا من المثقفين في البحرين، اغلبهم من اعضاء اسرة الأدباء والكتاب.

الهدف من اللقاء كان مناقشة قضية دور المثقفين في البحرين خلال السنوات الأربع الماضية، واستطلاع الآراء ووجهات النظر حول مشاكل وهموم المثقفين وما هو المطلوب بالضبط لتفعيل دورهم، وكيف يمكن ان تسهم «أخبار الخليج» كأكبر مؤسسة صحفية وطنية في ذلك.

بالطبع، لا يخفى ان وراء هذه الدعوة وهذا النقاش حقيقة اظن ان الكل يتفق عليها.. حقيقة ان دور المثقفين بشكل عام في الفترة الماضية وفي ظل الأحداث الخطيرة التي شهدتها البلاد كان دون الطموح بكثير. في الحقيقة، هذا الدور غاب تماما تقريبا.

المهم ان الجلسة شهدت بالفعل طرح بعض الأفكار الأولية حول القضية، ويمكن اعتبارها مجرد فتح لباب النقاش.

ونظرا لأهمية القضية وخطورتها، ارتأيت ان اقدم للقارئ بعضا مما دار في الجلسة وما طرح فيها.

□□□

دور غائب وضوابط وطنية

الأستاذ انور عبدالرحمن بدأ النقاش بطرح اهم القضايا المرتبطة بالمثقفين ودورهم.

قال بداية انه من الملاحظ غياب دور المثقفين في البحرين في السنوات الماضية، فمن يتابع التطورات التي شهدتها البلاد فسيلاحظ ان المثقفين لم يكن لهم أي دور ملموس.

وقال ان هذا الوضع ليس مقبولا ان يستمر، ولهذا من المهم جدًا الاجابة عن سؤالين اساسيين:

السؤال الأول: لماذا غاب دور المثقفين؟ ما هي أسباب محدودية دورهم على هذا النحو؟

وقال الأستاذ انور بهذا الصدد انه حتى منذ ما قبل الأحداث التي شهدتها البحرين في عام ٢٠١١، وتحديدا منذ عام ١٩٩٤، لا يوجد على ساحة العمل العام في البحرين الا قوتان، هما قوة الأمن العام بمهامها المعروفة من جانب، وقوة الصحافة من خلال الكتاب من جانب اخر. وفي غضون كل هذه السنوات، شهدنا غيابا تاما للمثقفين ودورهم.

والسؤال الثاني: ما هو المطلوب بالضبط لمعالجة هذا الوضع؟.. ما هو المطلوب كي يلعب المثقفون دورهم المفترض؟

واشار الى ان «أخبار الخليج» كمؤسسة صحفية وطنية رائدة، مستعدة لأن تلعب دورها في هذا الصدد، سواء عبر مثل هذه اللقاءات التي سوف تتكرر، او عبر صفحات الجريدة المفتوحة لأي اسهام من جانب المثقفين، واي نقاش يتعرض لهذه القضية بجوانبها المختلفة.

وتطرق انور عبدالرحمن الى قضية اعتبرها قضية حاسمة، وهي: على أي اساس يجب ان يدور النقاش حول دور المثقفين؟

قال ان هناك ثوابت وطنية أساسية يجب ان يستند اليها أي نقاش وينطلق منها، وفي مقدمتها أمران:

الأمر الأول: ان البحرين مملكة خليفية.. هذا محل اجماع، وخط احمر خارج أي نقاش للمثقفين او لغير المثقفين.. هذه حقيقة وجودية ثابتة ليست قابلة للنقاش.

والأمر الثاني: ان أي نقاش حول مشاكل المثقفين وحول دورهم يجب ان ينطلق من قاعدة الوطنية البحرينية الخالصة.

وأوضح ما يعنيه بذلك بالقول: ان البحرين وطن لكل ابنائه بلا استثناء، سواء كانوا سنة او شيعة. ولا يمكن بأي حال من الأحوال الحديث عن أي دور للمثقفين ما لم يكن منطلقا من قاعدة الوحدة الوطنية على هذا النحو، ايمانا وهدفا وغاية.

واضاف لمزيد من التوضيح ان المثقف الحق لا يمكن ان يكون طائفيا، ولا يمكن ان يكون داعية فتنة او مشاركا فيها بأي شكل من الاشكال.

وقال الاستاذ انور ان هذه القضية لها اهمية حاسمة لأسباب كثيرة، في مقدمة هذه الأسباب انه للأسف، شهدت السنوات الماضية تراجعا مخيفا للفكر القومي التوحيدي في البحرين، وفي المقابل صعودا رهيبا للفكر الطائفي التمزيقي.

وقال ان هناك اسبابا كثيرة لهذا، لكن لعل في مقدمتها ان كثيرا من المثقفين اصبحوا طائفيين ودعاة طائفية، لدرجة ان كثيرا منهم اصبحوا مجرد تابعين للمرجعية الدينية ومروجين لأفكارها الطائفية. وأضاف: انه لا يمكن ان يكون هذا هو مصير مثقفي البحرين، ان يكونوا طائفيين ومجرد اصوات للمرجعية.

وقال الأستاذ انور: انني حين ألح على ان الوطنية البحرينية الجامعة يجب ان تكون هي المرجعية والمنطلق في أي حوار او نقاش حول المثقفين ودورهم، فلهذا سبب حاسم آخر يتعلق بما يجري في المنطقة العربية اليوم.

واوضح اننا نرى جميعا كيف تتشتت الأمم، وكيف يتم التخطيط لتدمير دول عربية، والمدخل لهذا هو اثارة الصراعات الطائفية، وخلق الفتنة بين ابناء الوطن. ونحن في البحرين يجب ان نتأمل كل ما يجري، وان ننأى بوطننا عن هذا المصير الذي يراد للدول العربية.

□□□

من المسئول؟

بعد ان طرح الاستاذ انور وجهة نظره على هذا النحو: قلت باختصار ان المطروح للنقاش على ضوء ما قدمه، هو السؤالان الجوهريان: ماهي اسباب غياب دور المثقفين في البحرين وعدم فعاليتهم على الرغم من كل ما شهدته البلاد؟ ومن الذي يتحمل مسئولية ذلك".. وما هو المطلوب بالضبط بناء على ذلك لتفعيل ادوار المثقفين، سواء من جانب الدولة، او الاعلام او أي جهة اخرى؟

الأستاذ علي عبدالله خليفة بادر بالحديث وقدم وجهة نظر واضحة بهذا الخصوص.

قال ان المدخل الحقيقي لفهم تراجع دور المثقفين او غيابه في السنوات الماضية، هو فهم ما حدث لمؤسسات المجتمع المدني.

وفي رأيه ان الذي حدث هو انه جرى تكسير وتهميش دور مؤسسات المجتمع المدني. وهذا كما يرى كان أمرا متعمدا ومخططا له.

وأوضح انه على امتداد تاريخ البحرين الحديث والمعاصر، كانت مؤسسات المجتمع المدني هي التي تقود الساحة الثقافية والوطنية عموما، وهي التي تقود النشاط الثقافي وتحشد جهود المثقفين في كل المجالات.

لكن الذي حدث انه لاحقا وخصوصا بعد ان انشئت وزارات الثقافة في الدول العربية وفي البحرين، اصبحت الجهات الرسمية في الدولة هي التي تحتكر العمل الثقافي والأنشطة الثقافية. وهذه الجهات الرسمية قامت بتهميش مؤسسات المجتمع المدني وتغييب دورها بالكامل.

المؤسسة الرسمية اصبحت في رأي علي عبدالله خليفة هي التي تدير كل شيء وتحتكر كل نشاط.

والمشكلة هنا هي: أي دور وأي نشاط بالضبط قامت به هذه المؤسسة الرسمية؟

يقول ان وزارة الثقافة اصبحت تقوم بدور المقاول ومتعهد الحفلات واصبح هذا هو دورها الاساسي. واصبحنا نتابع حفلات مخملية لا علاقة لها بهموم الوطن، وكأن البحرين ليس بها لا ثقافة ولا فنون ولا مثقفون.

النتيجة في رأيه انه لم يعد للمثقفين دور ولا اعتبار ولم يعد لمؤسسات المجتمع المدني دور ولا اعتبار.

وتابع علي عبدالله خليفة شرح وجهة نظره، وقال انه ترتب على غياب دور مؤسسات المجتمع المدني على هذا النحو نتيجة خطيرة هي ان الفردية اصبحت هي سمة عمل المثقفين. كل مثقف اصبح يفكر ويتصرف كأنه مؤسسة مستقلة بحد ذاته، وبالتالي، غاب العمل الثقافي المنظم للمثقفين، وغاب دورهم الجمعي في المجتمع.

والخلاصة في رأيه، انه لا يمكن ان نتحدث عن عودة دور المثقفين من دون رد الاعتبار لمؤسسات المجتمع المدني ودورها. وهذه المؤسسات قادرة على ان تضع استراتيجية للعمل الثقافي الوطني وفق خطط محددة.

□□□

في مواجهة الطائفية

الكاتب المعروف إسحق الشيخ يعقوب ركز في حديثه على قضية الطائفية وارتباطها بالمثقفين ودورهم.

قال انه منذ اربع سنوات، اصبحت قضية الطائفية مطروحة بإلحاح في البحرين. وهذا الوضع يثير تساؤلات كثيرة يجب ان تكون الاجابة عنها في صلب أي نقاش او حديث عن دور المثقفين. تساؤلات من قبيل: هل هناك طائفية في البحرين؟ ما هي ابعاد المشكلة؟ ومن المسئول عن الطائفية؟ هل هي الدولة أم مختلف القوى؟.. الخ.

وقال اننا نريد للمثقف ان ينهض في وجه الطائفية. ولكن كي يحدث هذا يجب ان ندرك ان حاجزا نفسيا اصبح موجودا، ويجب كسر هذا الحاجز النفسي، وذلك عبر النقاش المفتوح الذي يشارك فيه الكل، ويطرحون فيه الأفكار على امل التوصل الى برنامج عمل لمحاربة الطائفية.

الشاعر المعروف ابراهيم بوهندي تحدث عن اسرة الادباء وهمومها والمشاكل التي واجهتها.

قال ان الأسرة هي اكبر كيان يضم المثقفين في البحرين، وهي الكيان الأدبي المعترف به في الاتحاد العام للكتاب العرب.

وتحدث عن انجازات الأسرة وكيف نجحت مثلا في تنظيم واستضافة المؤتمر العام للكتاب العرب في البحرين.

واشار الى أزمات تعرضت لها الأسرة منها مثلا انسحاب كثير من الإخوة الشيعة من الأسرة، وأعرب عن الأمل في عودتهم.

كما اشار الى موقف غير منصف تعرض له هو وعلي عبدالله خليفة في تلفزيون البحرين على خلفية الأحداث في البلاد.

علي عبدالله خليفة عاد الى الحديث ليؤكد مجددا الأهمية القصوى لدور مؤسسات المجتمع المدني. وقال ان هذه المؤسسات موجودة ويجب العمل في ظلها عند أي حديث عن تفعيل دور المثقفين في البحرين.

وذكر انه لو تم الاتفاق على هذا، وتجميع كل الأطراف المعنية، فإنه من الممكن ومن المطلوب وضع استراتيجية اهلية للثقافة في البحرين عبر هذه المؤسسات.

□□□

أين المثقفون؟

هذه أهم الأفكار التي طرحت في جلسة النقاش.

وكما نرى، لا نستطيع ان نقول ان ما دار هو نقاش معمق او موسع للقضية، وانما هو مجرد فتح لباب النقاش لا أكثر كما ذكرت في البداية.

القضية في الحقيقة على درجة كبيرة من الخطورة.

لماذا نقول بالمناسبة ان القضية خطيرة؟

الجواب ببساطة شديدة ان البحرين شهدت في السنوات الأربع الماضية اخطر تحديات تواجهها في تاريخها. وهي كما يعلم الكل تحديات هددت كيان الدولة والمجتمع والنظام الوطني.

وكان من المفترض ان يكون المثقفون في طليعة من يلعبون دورا في مواجهة ما شهدته البلاد. لكن الذي حدث ان المثقفين خذلوا البحرين بكل معنى الكلمة.

ولسنا هنا بصدد المناقشة التفصيلية للقضية، وان كنا سنعود الى ذلك اذا امتدّ هذا النقاش.

لكن يكفي ان نشير هنا الى أمرين يجسدان كيف خذل المثقفون الدولة والمجتمع:

الأمر الأول، يتعلق بمواقف المثقفين المباشرة من الأحداث والتطورات الخطيرة التي شهدتها البلاد.

بالطبع، هناك مثقفون لعبوا دورهم الوطني المفترض عبر كتاباتهم على صفحات الصحف مثلا وعبروا عن مواقف وطنية واضحة. لكن الغالبية الساحقة من المثقفين في البحرين تفرقوا بين فريقين: فريق انحاز الى انتماءاته الطائفية الضيقة بالكامل بكل ما ترتب على هذا من مواقف، وفريق هرب ولاذ بالصمت التام طوال هذه السنوات.

الأمر الثاني، يتعلق بدور المثقفين في المجتمع بصفة عامة في ظل هذه الأحداث والتطورات.

القضية هنا أنه بغض النظر عن المواقف المباشرة من الأحداث، فاننا لم نشهد أي مبادرات تقدم بها او حاول المثقفون القيام بها في ظل هذه الأوضاع.

لم نشهد مثلا أي مبادرة لمحاربة الطائفية التي توحشت وللدفاع عن الوحدة الوطنية في البلاد.

ولم نشهد مثلا أي جهد جادّ من جانب المثقفين للمناقشة الجادة العامة لمستقبل البلاد ومستقبل العمل الوطني.. وهكذا.

كما نرى، القضية على هذا النحو تطرح بالفعل تساؤلات كثيرة، ويجب ان تكون موضوعا لنقاش جادّ.

في مقدمة هذه التساؤلات ما طرحه الاستاذ انور عبدالرحمن بالفعل، حين تساءل عن اسباب غياب دور المثقفين وعدم فعاليته.

وبشكل عام، مطروح للنقاش الجدّي: كيف نقيم دور المثقفين بصفة عامة في السنوات الأربع الماضية، إن بالسلب او بالايجاب؟

ماهي مشاكل المثقفين وهمومهم؟

ما المطلوب بالضبط ان اردنا ان نشهد دورا فاعلا للمثقفين، سواء من جانب الدولة او من جانب المثقفين انفسهم.. الخ؟

كل هذه وغيرها تساؤلات بحاجة الى نقاش منظم وموسع.

الاستاذ انور وعد بتنظيم جلسات اخرى لقطاعات مختلفة من المثقفين لمناقشة القضية.

لكن غير هذا، كل المثقفين مدعوون للإسهام بآرائهم ووجهات نظرهم.

○ علي عبدالله خليفة.

علي عبدالله خليفة:

الدولة همشت دور مؤسسات المجتمع المدني

وزارة الثقافة لعبت دور المقاول ومتعهد الحفلات المخملية

بقلم:
السيد زهره

○ إسحق الشيخ يعقوب.

إسحق الشيخ يعقوب:

المثقف يجب أن ينهض في مواجهة الطائفية

○ إبراهيم بوهندي.

إبراهيم بوهندي:

أسرة الأدباء أكبر كيان يجمع المثقفين وتعرضت للظلم